المحاضرة رقم 1 **نشأة النحو وأسباب ظهوره**

تمهيد :

نشأت اللغة العربية في أحضان شبه جزيرة العرب خالصة لأبنائها نقية سليمة، وبقيت على هذه الحال حقبة طويلة من الزمن كان العرب فيها يعيشون ويحيون الحياة البدوية البسيطة البعيدة عن وخرف الحياة ونعيمها، وأشهر ما كانت تعرف به الأسواق الأدبية حيث كانوا يعقدون فيها المجامع ليتبارى فيها الشعراء والخطباء الذين يأتون من كلّ مكان من شبه الجزيرة العربية، وبقيت الحال كذلك إلى سطع نور الإسلام ودخل الناس في دين الله، ثم تتابعت الفتوحات في عهد الخلفاء الراشدين، وكان لهذه الفتوحات أثر بارز في اختلاط العرب بغيرهم من الأجناس في البيوت والأسواق والمناسك، والمساجد وتصاهروا واندمجوا بعضهم ببعض، فكان لزاما على غير العربي أن تكون لغته العربية التي يتواصل بها مع غيره من العرب خاصة أنها لغة القرآن الكريم، وهو ما أدّى إلى تسرّب اللّحن والخطأ في لغة القرآن الكريم واللّسان العربي عامة.

1- سبب وضع علم النحو:

يقول أبو الطيّب اللغوي:" اعلم ان ما اختل من كلام العرب: الإعراب؛ لأن اللحن ظهر في كلام الموالي من عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد روي أن رجلا لحن في حضرته فقال عليه الصلاة والسلام **" أرشدوا أخاكم فقد ضل"** وقال ياقوت الحموي: " مرّ عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- على قوم يسيئون الرّمي فقرعهم، فقالوا:" **إنَّا قومٌ متعلمين"** فأعرض غاضبا وقال: **"والله لخطؤكم في لسانكم أشد عليّ من خطئكم في رميكم".**

وما أكثر الروايات التي قيلت في اللحن ولستمر الوضع على حاله إلى أن فكر أصحاب الشأن والسلطة في حل يقي ويحمي لغة القرآن الكريم التحريف، وقد اختلفت الروايات حول واضع أولى الخطوات في صناعة علم النحو وتكاد تتفق أكثر الآراء على أن الإمام علي -رضي الله عنه-

وأبا الأسود الدؤلي هما اول من وضع اللبنة الأولى لهذا العلم؛ حيث أتى أبو الأسود الدؤلي أمير المؤمنين فوجد بين يديه رقعة، فقال: ماهذه يا أمير المؤمنين؟ فقال إني تأمّلت كلام العرب فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء، يعني الأعاجم، فأردت أن أضع شيئا يرجعون إليه ويعتمدون عليه، ثم ألقى إلى أبي الأسود الدؤلي الرقعة وفيها مكتوب: **"الكلام كله اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أُنبِئَ به، والحرف ما أفاد معنى،** وقال لأبي الأسود الدؤلي**: أُنحُ هذا النحو وأضف إليه ما وقع إليك، واعلم يا أبا الأسود أن الأسماء ثلاثة: ظاهر ومضمر واسم لا ظاهر ولا مضمر"** ووضع أبو الأسود باب العطف والنعت، والتعجب والاستفهام وباب إن وأخواتها وكان كلما وضع بابا من أبواب النحويعرضه عليه،

وتذكر الروايات أن أبا الأسود الدؤلي جاء أمير البصرة وقال له: " إني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم، وفسدت ألسنتها، أفتأذن لي أن أضع للعرب ما يعرفون به كلامهم؟ وفي بداية الأمر رفض زياد بن أبيه إلا انه بعد ما سمع اللحن على ألسنة العامة استدعاه وقال له ضع للناس ما كنت نهيتك عنه، ففعل، وأحدث ما يصطلح عليه بنقط الإعراب وهي الضمة والفتحة والكسرة، التي تم بها ضبط المصحف الشريف وكان يخاطب كاتبه فيقول: " إذا رأيتني قد فتحت غمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه، فإن ضممت شفتي بالحرف فانقط نقطة بين يدي الحرف ، وإن كسرتها فاجعل النقطة تحت الحرف، فإن أتبعت شيئا من ذلك غنة فاجعل مكان النقطة نقطتين".

وإلى جانب صنيع أبي الأسود الدؤلي ما زاده نصر بن العاصم الليثي(ت89ه) من نقط الإعجام لإزالة الغموض والالتباس عن الحروف المتشابهة.

2- مراحل نشأة علم النحو:

الاستقراء والتقعيد:

اعتمد النحاة في وصفهم اللغة في هذه المرحلة على الاستقراء، لانه من أهم أدوات الوصف، واعتمدوا إلى جانب ذلك، التصنيف والتقسيم والاصطلاح بعد ملاحظة جميع الظواهر اللغوية، وقد حرص النحاة على وضع شروط خاصة بالمادة المنقولة أي المدونة وهي تحديد ست قبائل عربية(أسد، قيس ، تميم، بعض كنانة، بعض هذيل، بعض طيّء)، وتحديد إطار وماني يمتد ما بين 150 سنة قبل البعثة، و150 سنة بعدها في المدن والحواضر واستمر أخذ اللغة وجمعها الى غاية القرن 4ه في البوادي، وكان مصدر هذه المادة (القرآن الكريم بقراءاته، الحديث النبوي الشريف، كلام العرب شعره ونثره).

كما وضعوا ضوابط وشرط خاصة بناقل وجامع اللغة كان يكون عالما، عارفا بقواعدها أسرارها، معروفا غير مجهول، ثقة عدلا ولا يشترط فيه أن يكون حرا أم عبدا

وهناك شروط خاصة براوي اللغة كأن يكون منتميا إلى القبائل العربية الست وأن يكون معروفا معلوم النسب، أن يكون ثقة،و عدلا، موضوعيا

وقد تمّيزت هذه المرحلة بميوات عديدة نذكر منها:

- ملاحظة ما اطرد من ظواهر لغوية وتصنيفها وتقسيمها والاصطلاح عليها واستنباط الأحكام النحوية.
- تغليب النص على منهج الباحث وخضوع الباحث الى الظواهر اللغوية وما تمتلكه من خصائص
- تعميم الأحكام النحوية المستنبطة

المرحلة المعيارية:

وهي المرحلة التي تلت مرحلة الوصف والجمع والتصنيف، وأصبح البحث النحوي فيها أكثر تجريدا مما كان عليه، حيث فكر النحاة في اللغة

تفكيرا يخضع للصواب والخطأ في استعمالها وباستعمال القياس ألحقت أكثر الشواهد والنصوص التي لم يرد في حكمها نص بما ورد في حكمه نص مثال عن ذلك: الفعل المضارع فقد أخذ حكمه وهو الإعراب، عن طريق عملية القياس حيث حمل على اسم الفاعل لعلة جامعة وهي أنهما يشتركان في جملة من الخصائص: البنية العروضية- دخول لام الابتداء عليه- دخول الحروف على الفعل المضارع فتغير من حركته كما تغير الحروف على الاسماء فتغير من حركتها، استمرارية الزمن في الحاضر.- التعميم والتخصيص.